القسم الثاني

الأديان الوضعية

- أديان بلاد الرافدين
- أديان الجزيرة العربية قبل الإسلام
- أديان بلاد الشام
- الديانة الفرعونية
- الديانة المجوسية
- الديانة الهندوسية
- الديانة البوذية
- الديانة الكونفوشيوسية
- الديانة الإغريقية
- الديانة الرومانية
- **الأديان الشرقية الأخرى**
  - ١ ـ الجينية
  - ٢ ـ الطاوية
  - ٣ ـ الشنتوية
  - ٤ ـ السيخية
- **الأديان في القارات الأخرى:**
  - ١ ـ أُستراليا
  - ٢ ـ إفريقيا
  - ٣ ـ أوروبا
  - ٤ ـ أميركا

أطلس الأديان

أديان بلاد الرافدين

لمحات من تاريخ سومـر

من المتعارف عليه تاريخياً أن الحضـارات الأولى لم تنشـأ في كل أنحاء الأرض في وقت واحد؛ بل أخذ المد الحضـاري عبر هجرات مختلفة، يمـتد شـيئاً فشـيئاً من جـزيرة العـرب مهد آدم وحواء (عليهما السـلام) إلى المناطق القريبة المفتوحة المجاورة لها، فنشـأت في أرض الرافدين والشام ومصر، بواكير هذه الحضارات الإنسانية الأولى؛ لذلك ليس من الغريب بمكان أن نجد الكتب السماوية؛ تسجل أحداثها الأولى والتالية على هذه الرقعة الجغرافية المحدودة من الأرض دون غيرها !! .

ففي السـهل الخصـيب الذي يُكَوِّنه نهرا دجلة والفرات . بدأت ملامح الوجود السـومري تتضـح منذ منتصـف الألـف الرابع قبل الميلاد،حيث اسـتوطن السـومريون هذا الجـزء من العالم، وبنـوا فيه مدناً وقصوراً اتسمت بالفخامة والروعة والجمال !، كما بنو أسواراً حول مدنهم لحمايتها من الأعداء . وكانت أول ثقافـة سـومرية هي ثقافة الوركاء الأولى ، علمـاً أن ظهور المدينة في جنوبي العـراق ظهر في بداية الألـف الخامسـ قبل الميـلاد، لكن نظام دولـة المدينة لم يظهر إلا فـي بداية الألف الثالـث قبل الميلاد ، وظهـرت فـي المدن السـومرية خلال هذه الفترة سـلالات عديدة حاكمـة على النحو التـالي: (كيش: ٤ سـلالات، أوروك: ٣ سلالات، أور: سلالتان،وسلالة واحدة لكل من لكش، أوما إكشاك، أوان أدب، ماري، حمازي) وهناك مدن سومرية أخرى لم تظهر فيها سلالات حاكمة إلا أنها كانت تتمتع بمركز ديني هام مثل نفّر المدينة السـومرية المقدسة عند السومريين كونها مدينة الإله القومي السومري (إنليل) ومدينة أريدو مدينة الإله (إنكي) وهو إله واحد للأرض، ومدينة سـبار مدينة الإله (أوتو) إله الشـمس ومدن أشنونا وخفاجي وايسن ونينا ... (انظر خريطة المدن السومرية) .

إذن فالدولة السـومرية ازدهرت واسـتمرت حتى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد . ثم ذابت بعد ذلك، وامتزجت بحضـارة امبراطورية أكّاد، وبـابل العريقة، وحضـارة الآشـوريين . ولقـد امتاز السومـريون بالزراعة و تربية الماشـية، وامتهنوا الحرف الصناعية بمهارة فائقة، ثم اخترعوا رموز الكتابة المسمارية نحو عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، ليقدم السـومريون للبشـرية أثمن ابتكار ابتكره الإنسـان عبر تاريخه، حيث تم صـنع الرمـوز عن طريق ضـغط آلة حـادة الطرف في ألواح من الطـين الخزفي المبلّل، ثم تُـترك هذه الألواح لتجـف فـي الشـمس . لذلك وصـلتنا مئـات الآلاف من هذه الألـواح التي توضّـح معلومات عن سياسـة السـومريين وآدابهم واقتصـادهم وقوانينهم وعقيدتهم،(انظر الصفحة الخاصـة بالكتابة المسمارية) كمـا تشـير هذه الألواح إلى أن السـومريين كانوا يعرفـون الكثير من العلوم كالرياضـيات والفلك والطب وعلوم أخرى من خلال الشواهد الكتابية الأثرية التي تركوها بين أيدينا؟ !.

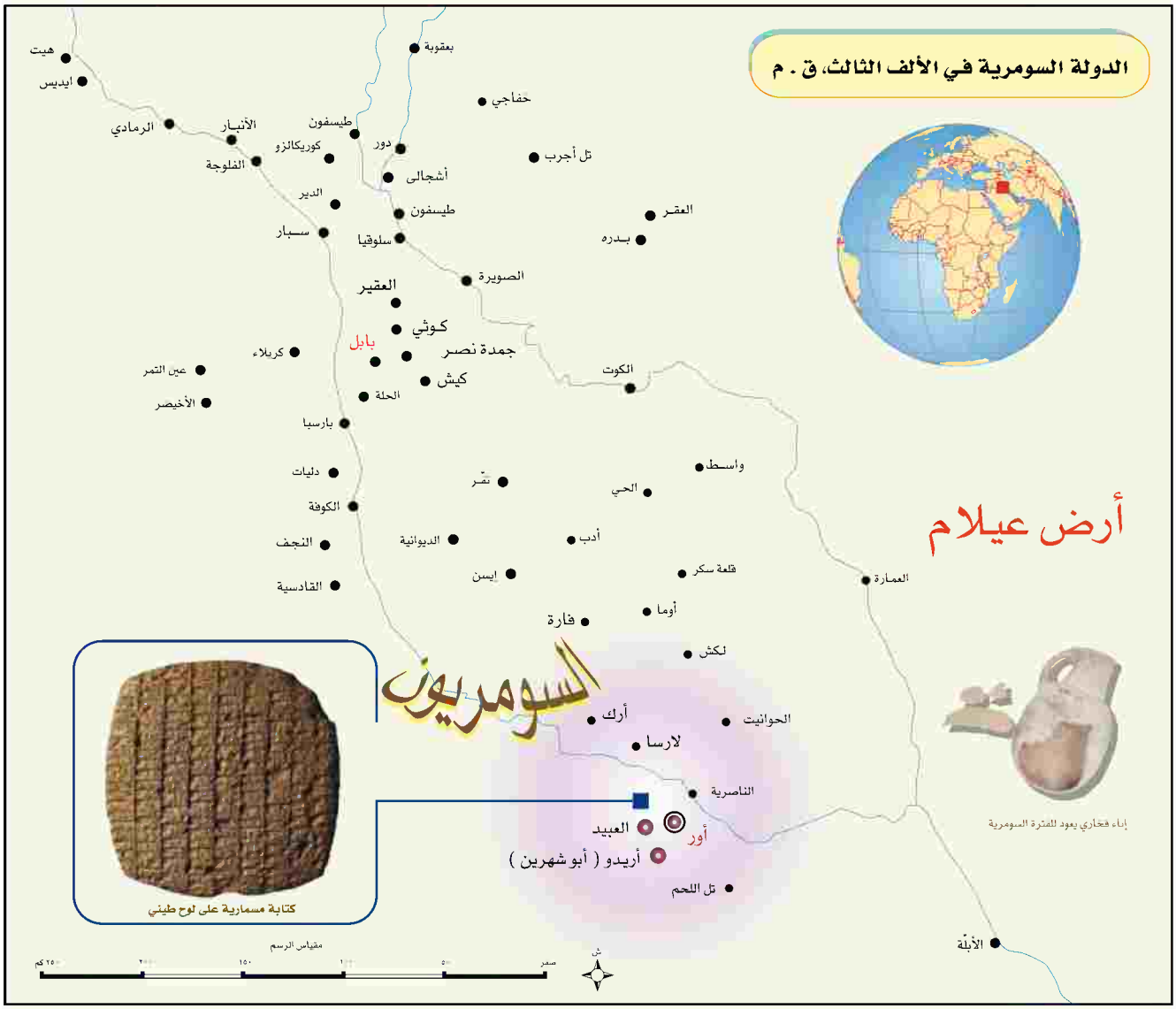

أور : مدينة في منطقة سومر القديمة (جنوب شرقي العراق) كانت إحدى أوائل المدن في العالم . تقع على نهر الفرات بالقرب من الخليج العربي، وازدهرت كمركز تجاري وميناء، في الفترة ما بين عامي ٣٥٠٠ و٢٠٠٠ قبل الميلاد على وجه التقريب . وقعت المناطق المجاورة لها تحت سيطرتها خلال الفترة المذكورة وأصبحت إحدى دول المدن القوية . بيد أن تحول مجرى نهر الفرات في فترة لاحقة أدى إلى عزل أور عن التنقل النهري .

وفيما بين عامي ٣٠٠٠ و٢٠٠٠ ق . م، تقريباً كانت أور عاصمة سلالتين حاكمتين في البلاد . ومدينة أور هي موطن أُسرة سيدنا **إبراهيم** عليه السلام قبل ارتحاله إلى حرّان ومن ثم إلى بيت المقدس ومصر وأرض الحجاز . حيث ظل موقع أور عامراً آلاف السنين واثبتت الكشوفات الأثرية الحديثة، اكتشاف المقبرة الملكية التي يرجع تاريخها إلى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد حيث عثر فيها على جواهر ثمينة وجميلة تدل على المهارة الحرفية كالأسلحة المذهبة، وسلوك هابط كمائدة القمار المصنوعة من الموزاييك المطعّم بالذهب مما يدل على إسرافهم في الباطل ومخالفة أوامر أنبياء الله الذين بعثوا فيهم؛ إضافة إلى لوحات فسيفسائية تصوّر مشاهد الحرب والسلم، وتُحف أخرى كثيرة جسدت فن المهارة الحرفية عند العراقيين القدماء . حيث وضع بعضاً منها في المتحف العراقي ومتاحف الغرب، إلا أن الغزو البربري الأنجلو أمريكي على العراق اجهز على البقية الباقية من هذه التحف الأثرية حيث استولى على الكثير منها وما تبقى نالته أيادي السرّاق والعابثين، على الرغم من محاولات الغيورين على تاريخ الرافدين استرداد البعض منها، وعرض ما تبقى منها في المتحف. ومازال في موقع مدينة أور السومرية خِرَبُ بُرج عبادة ضخم مدرَّج يُطلق عليه اسم (زقورة) .

طقوس دينية سومرية

ملحمة (أور) وهي تسجل نصر السومريين في المعركة

اختصـت الحضـارة السـومرية بأنها أم الحضارات التي ظهرت في بلاد ما بين النهرين وأقدمها جميعاً. ولم يقتصر تأثيرها على هذا الجزء من العالم بل تعداها إلى كل الدول التي احتكت فيها وتأثرت بها آنذاك .

ديانة السومريين

ابتدع **السومريون** في غضون الألف الثالث قبل الميلاد أفكاراً دينية ومفاهيم روحية خلّفت أثراً لا يُمحى في عالم اليوم، ولا سيما من خلال الديانتين اليهودية والنصرانية وهذا ما سوف نلمسه عبر هذا الأطلس الخاص بالأديان . حيث أخذت هذه الأفكار تعكس إيقاع بيئة السومريين الطبيعية، المائية منها والزراعية، حينما جنحوا عن فطرة التوحيد، ودعوة الأنبياء عليهم السلام، ثم استرسلوا في فكر شركي وضعوا من خلاله تصور لإله واحد للكون هو (آن)، أو لتصور إله واحد للأرض هو (إنكي)، أو لتصور إله واحد لسومر نفسها هو (إنليل) .

لكن الملاحظ أن معتقدات السومريين الدينية أوغلت في الوثنية حيث أخذت تدير معتقداتها عبر نماذج بدعية محدثة هي على النحو التالي :

أولاً : الطقوس التي يقصد بها تمجيد الإله وتعظيمه واستعطافه كتقديم الهدايا والهبات من الحبوب والخمور والزيوت والماشية وغيرها، وإقامة الصلوات والاحتفالات المقدسة . وإن قسماً كبيراً من أدبهم اصطبغ بهذه الصبغة الدينية، وخصوصاً في مديح الإله " إنليل " .

ثانياً : الطقوس السلبية التي يُراد بها منع الأذى ومقاومة الساعين به، مثل كتابة التعاويذ ورسم الطلاسم والقيام بأعمال السحر والشعوذة التي كان يمارسها كهّان وكاهناتٌ يدّعون القدرة على طرد الأرواح الشريرة !.

ثالثاً : الطقوس ذات الصفة الاحترازية . والغرض منها الكشف عمّا يخبئه المستقبل للإنسان من مفاجآت سيئة يستعدّ لها ويحترز منها. وقد استعملوا وسائل شتى لهذا الغرض نذكر اثنتين منها . تشريح كبد الحيوان و مراقبة حركات الكواكب والنجوم .حيث كان يعتقد السومريون على أن مصير الإنسان تدل عليه علاماتٌ خاصة في كبد الحيوان !. وعندما كان السومري يقدّم حيوانه ضحية للإله في الهيكل كان العرّاف يأخذ كبد الحيوان الضحية ويفحصها متأملاً تكوينها دارساً شكلها وتركيبها وأحوالها ليستنتج مما يجد فيها المصير الذي كتبه القدر لذلك الإنسان . شفيق جحا وآخران، المصور في التاريخ (حضارات العالم في العصور القديمة)، ص ٥٩ ـ ٦٣ .

أما مراقبة الكواكب والنجوم فكانت مبنية على الاعتقاد بأن مصير الإنسان مرتبط بها، وأنه يمكن التنبؤ بما هيّة ذلك المصير برصد الأجرام السماوية ومراقبة حركاتها. هذه الأهمية للنجوم جعلت السومريون يراقبونها مراقبة دقيقة ويعنون بزيادة معرفتهم بطبيعتها وكل ما يتصل بها. وقد نشأ عن ذلك علم التنجيم الذي زاد من إضلال الناس عن طريق الهدى والرشاد في الحضارات الأخرى .

لقـد كانـت العبادة لدى السـومريين تجـري في (الزكـورة) ، أي الهيكل، الـذي كان يبنى على تل اصطناعي في وسط المدينة بشكل **برج فخم يتألف من بضع طبقات**، وتحيط به من الخارج طريق صاعدة ترتفع تدريجياً في كل دورة حتى تصل إلى المذبح الذي يكون في القمة . وكان يقوم إلى جانب الهيـكل، بيـت الإلـه الخاص الذي يوضـع فيه صـنمه، ومنـازل الكهّان وموظفـي الهيـكل، والمخازن والأهراءات التي تُجمع فيها الغلال والتقدمات العائدة له . ومن معتقدات السومريين الدينية أن الحياة الأرضية هي الحياة الحقيقية، وفيها لا في سواها مجال السعادة والسرور، أما الحياة الثانية فهي شبه عدم إن لم تكن هي العدم نفسـه ! . وهي مصـير محتوم على كل إنسـان لا فرق بين صالح وطالح !، ولا مفرّ منه لغير الآلهة. ونتيجة لهذا الاعتقاد لم يهتم السومريون ببناء الأضرحة الفخمة كالفراعنة، بل كانوا يدفنون موتاهم في قبور بسيطة يحفرونها تحت أرض غرف بيوتهم وأحياناً في مقابر عامة في المدينة .

لقد كان الإله الأهم في مجمع الآلهة السـومري، والذي أدى دوراً مهيمناً في كل أنحاء سـومر في الطقس والأسـطورة والصـلاة، هو إله الهـواء " إنليل " والأحداث المؤدية إلى القبـول العام بأنه كبير الآلهة في المجمع السومري مجهولة؛ ولكن إنليل، ومن أقدم المدونات المفهومة، معروف بأنه " أبو الآلهة " و " ملـك السـماء والأرض " و " ملـك كل الأراضـي " ويفخـر الملـوك والحكام بـأن إنليـل هو الذي منحهـم ملكيتهم على البلـد، وهو الذي جعل البلد مزدهـراً، وجعل بين أيديهم التغلـب بقوته على كل البلاد . وإنليل هو الذي يُعَينٌ الملك ويعطيه صـولجانه وينظر إليه بعين الاستحسـان . فراس السـواح ، موسوعة تاريخ الأديان، ج ٢، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

نموذج تخيلـي لاحـدى زقـورات (الهيكل) عند السومريين .

آلهة سومـــــر الوثنية

آلهة الأهوار

إنكي (المياه)

- أسلوحي (العيوم)
- دموري ابسو (ابن مياه الأعماق)
- نانشه (الأسماك)
- نتمار (الطيور)

آلهة البساتين

ننازو (الشجرة)

- ننقشزيدا
  حامل العرش
- دامو
  النسخ الصاعد في النباتات

آلهة الرعاة

- آلهة رعاة البقر الجنوبية
- الهة رعاة الحمير الشمالية

ننخر ساج (الأرض العليا)

+

شولبي (الأرض السفلى)

- نانا (القمر)
- ننهار (الرعد والأمطار)
- أوتو (الشمس)
- ننسون (البقرة)
- آن (السماء)
- مولو ليل (ليل)
- أشّرجي
- أغيم

آلهة الحقول

- إنليل وننليل
- نورتا العواصف
- مسلمتاي (العالم الأسفل)
- نصابا (الحبوب)
- باو (الزراعة والشماء)

مخطط لتصنيف جاكوبسن للآلهة السومرية حسب المناطق الطبيعية لسومر. نقلاً عن د . خزعل الماجدي . ص ٦٥. تصميم المؤلف / سامي بن عبد الله المغلوث .

رقيـم من الفخـــار يجمـــع بين مجموعة من المعبودات السومـــرية القـــديمة. مثل الإله (إنكـــي) و الإله (أوتو) ويظهر خلف الإله إنكي وزيره الإله (ايســـمود) ذو الوجهين. وتظهر المياه تتدفق من كتفي الإله إنكي إلى الأسفل .

رثاء مدينة أور

« عندما فـازوا بالنصر. عندما قلبوا النظام كالطوفان ســاعتئذ. قضوا على كل شيء في آن واحد .
لماذا بدّلوك إي سومر ؟
نفوا من الهيكل السلالة المقدسة
وهدموا المدينة. هدموا الهيكل
واستأثروا بحكم البلاد .
وكما أشار " انليل". انهار النظام
وانليل اشاح بنظره نحو أرض غربية
واقتئذ الأقدسُ " إبي سين" إلى عيلام » .

حملة نارام سين

إناء نذري من سومر

رجل سومري يقوم بعملية التقاط ثمر البلح (الرطب)

كاهن سومري يمارس طقوساً دينية

صور من سومر

مجسم لحيوان الخنزير المنهي عن أكله في الشرائع السماوية

يحدثنا التاريخ القديم عن بلاد الرافدين؛ أن أســراً قوية من ملوك المدن قد ازدهرت في كيش حوالي العام ٤٥٠٠ ق.م وفي أور حوالي ٣٥٠٠ ق.م ، فضلاً عن مدنٍ أخرى مثل نيبور وأوروك (الوركاء الحالية) موغلة في التاريخ كانت قد حكمتها سلالات سومرية منسية ، على أن بعضاً مـن مدنهـم تعـود الى ما قبل الطوفان مثل شـروباك (فارة الحالية) موئل زيوسـدرة (نـوح عليه السلام) والتي بدأ منها الطوفـان. ومن ملوكهم الأسطوريين (دموزي) الذي أصبح إله زراعي عُبِد فيما بعد، حينما تمادى الأهالي في عبادة الأوثان، وجلجامش صاحب الملحمة الشهيرة التي تعد أول ملحمة بشـرية مكتوبة، فضـلاً عن ملوكهم الأوائل الذين طغوا في العالم الوثني ومن أبرزهم أورنمو حوالي ٣٠٠٠ ق. م، صـاحب أقدم شريعة بشرية مدونة في التاريخ، ولبت عشتار ملك نيبور الذي منح شعبه ثاني شريعة وضعية مدونة في العالم، بينما كان آخر ملوك السلالات السومرية لوكال زاكيزي حوالي ٢٩٠٠ ق. م .

الكتابة المسمارية وحادثة الطوفان

في أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، خاض السومريون تجربة جديدة غير مسبوقة ألا وهي فن الكتابة على الآجرّ اللين قبل شـويه، كتجربة حضـارية متميزة اتسـمت بأصالتها، و قاد السـومريون موكب هذه الحضـارة مبتكرين ومطوريـن لنظام الكتابة في تاريخه القديم، والتي بواسـطتها تم نقل البشـرية إلى إيقاع له خصوصيته المتميزة والمتفردة في ميدان العلم والمعرفة ؛ وليحقق بذلك ثورته المعلوماتية الكبرى في شتى الميادين حيث اتسم هذا العمل في بادئ الأمر بالشكل الصوري ثم تطور بعد ذلك إلى الرمزي وأخيراً إلى المقطع الصـوتي حيث عرفت هذه الأنواع جميعها بالكتابة المسـمارية . في الوقت الذي عرف فيه المصـريون؛ نوع آخر من الكتابة أطلق عليه الكتابة الهيروغليفية بأنواعها الثلاث المميزة . حيث مرت هذه الكتابة بنفس المراحل التطويرية التي مرت بها الكتابة المسـمارية السـابقة، إلا أن كلتيهما لم تصـلا إلى المرحلة الهجائية الأبجدية كالتي ابتكرها الكنعانيون فيما بعد ؟ ! .

بيد أن الملاحظ في هذه الكتابة المسمارية أنها كانت أكثر تعقيداً عن مثيلاتها لدى الشعوب الأخرى . فقد اسـتعمل السـومريون والبابليون نحواً من ٦٠٠ حرف تتراوح ما بين مسمار واحد ورموز معقدة مكونة من ٣٠ مسـماراً أو أكثر . و اسـتخدم الحثيون نحو ٣٥٠ حرفاً والعيلاميون نحو ٢٠٠ حرفاً بينما استخدم الفرس ٣٩ حرفاً فقط . الموسوعة العربية العالمية، ج ١٩ ، ص ١٣٨ .

وحادثة الطوفان التي جعلها الله للناس آية نتيجة لكفر قوم نوح بنبيهم ، اسـتطاع الأدب الرافدي (السومري ، الأكادي ، والآشوري ، والبابلي) أن يسجل حدثها العظيم المفجع ! . وذلك من خلال كتابتها عبر الرقم الطينية الأثرية لتلك الحضارات القديمة؛ كحدث عظيم وقع لعالم ذلك اليوم ؟ ! . قال تعالى : (... وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً) الفرقان : ٣٧ . انظر كتابنا (أطلس تاريخ الأنبياء والرسل) ص ٨٠ - ٨١ .

وعلى سفوح جبل بهستن روك (على بعد ٣٠ كم من كرمنشاه) ، قرب مدينة قصر شيرين، الواقعة في بـلاد الكرد شـرق خانقين، وجدت صـخرة كبـيرة نقش عليهـا كتابة مسـمارية بثلاث لغات: الفارسـية القديمة، والعيلامية، والبابلية،ووضـعت تحت تمثال الامبراطور الفارسـي الشـهير (دارا) . حيث كانت هـذه الكتابـة تمجـد انتصـار الحاكم الفارسـي داريوس (دارا) ، وعلى أية حال فإن قصـة حل رموز الكتابـة المسـمارية تعتـبر واحـدة مـن أروع الاكتشـافات العلمية في القرنين التاسـع عشـر والعشـرين الميلاديين، فمن تلك الكتابة تم فك رموز الكتابة المسـمارية التي ابتكرها السومريون، مما أتاح إلى توسع أفاق الفكر الإنساني إلى ما يتجاوز حدود المعرفة بالتراث القديم .

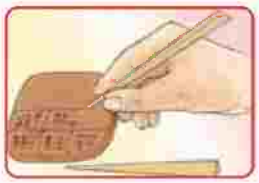

نشأ الخط السومري في بلاد الرافدين، ثم امتد ليشمل البلدان المجاورة مثل سوريا، وعيلام، حتى وصل إلى مصر وغيرها .

شهدت بلاد وادي الرافدين مولد أول طريقة للتدوين في العالم القديم إذ كشفت التنقيبات الأثرية في أحد معابد الوركاء (الطبقة الرابعة) عما يزيد على ألف لوح من الطين المشوي مدونه بأقدم شكل للكتابة والتي اصطلح المختصون على تسميتها بالكتابة (الصورية). لذلك تعرف الكتابة التي ابتكرها العراقيون القدماء بـ (الكتابة المسمارية)، ومع غرابة التسمية غير أنها أصبحت مقبولة وشائعة ومعروفة لدى الجميع. والتسمية حديثة الاستخدام نسبياً إذ اطلقها الباحثون على أولى الكتابات المكتشفة في نينوى ونمرود في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت تلك الكتابات تتألف من علامات محفورة على الحجر أو مطبوعة على الطين، تتألف كل علامة منها من عدد من الخطوط الأفقية والعمودية أو المائلة ينتهي كل خط فيها بمثلث صغير غائر مكوناً مع الخط مايشبه المسمار أو الأسفين .حيث أن (الكتابة المسمارية) الصورية هي الخاصية الجامعة لتاريخ العراق القديم منذ الألف الرابع قبل الميلاد حتى السقوط الأخير لبابل في القرن السادس قبل الميلاد. بعدها بدأت تنتهي تلك المرحلة مع بدء انتشار لغة شبه جديدة هي اللغة الآرامية سليلة الأكدية السابقة مع تأثير السوريين (الكنعاني . الفينيقي) واضح . فالميزة الأساسية في هذه اللغة الجديدة هي ظهور الكتابة الأبجدية (الحروفية) الذي اخترعها السوريون، والتي حلت محل الكتابة المسمارية(الصورية)، مما خلق شبه قطيعة، ثقافية وحضارية ثم بعدها دينية، كبرى مع المرحلة السابقة (المسمارية).

اكتشفت أول بعثة أمريكية قامت بحفر في العراق الجنوبي - اللوح الطيني - الذي يحتوي على القصة السومرية للطوفان في مدينة "نيبور" (نفّر) ثم تبعه آخرون .. و يبدوا من طابع الكتابة التي كتبت بها القصة السومرية أنها ترجع إلى ما يقرب من عهد الملك البابلي الشهير " حمورابي " ١٦٠٠ق.م و على أنه من المؤكد أنها كانت قبل ذلك، وملخص القصة حسب **الرواية السومرية** تتحدث عن ملك يسمى (زيوسودا) و كان يوصف بالتقوى ، وكان هذا الملك يخاف الله ، و يكب على خدمته في تواضع و خشوع ، و يصل النظر إلى المكان المقدس ، و هو يقيم أخبره بالقرار الذي أعده مجمع الآلهة بإرسال الطوفان كما يصف اللوح العاصفة و الأمطار و التي استمرت سبعة أيام و سبع ليال يكتسح فيها الفيضان الأرض، حيث يوصف (زيوسودا) بأنه الشخص الذي حافظ على الجنس البشري من خلال بناء السفينة . ولقد عثر " سير ليونارد وولي " في حفائره في " أور " عام ١٩٢٨م على طبقة من الغرين السميك الذي يقدر بحوالي ثمانية أقدام والذي اعتبره دليلاً مادياً على الطوفان السومري هذا مع ملاحظة أن تلك الطبقة الغرينية تقع فوق و تحت آثار تنتمي على عصر حضارة العبيد، والتي تمثل عصر ما قبل الأسرات الأولى في جنوب العراق، ثم اتجه " دولي " بعد ذلك إلى الحفر في موضع بعيد عن " أور " بحوالي ثلاثمائة يارده من ناحية الشمال الغربي للبحث عن مدى امتداد تلك الطبقة الغرينية ، و كانت نتيجة الحفر إيجابية ، مما أدى إلى القول بوجهة نظره المشهورة في ارتباط تلك الطبقة الغرينية السميكة بالطوفان الذي ذكرته الكتب المقدسة . موقع آثار العراق على الشبكة العنكبوتية.

صورة لأقدم نوع من أدب الملاحم البطولي في الحضارات القديمة، حيث تعتبر هذه الملحمة من أطول وأكمل ملاحم حضارات العالم القديم. وليس هنالك ما يقارن بها أو ما يضاهيها من آداب الحضارات القديمة قبل الإلياذة والأوديسة في الأدب اليوناني، وقد ظهرت هاتان الملحمتان بعدها بثمانية قرون . من هنا تتبوأ هذه الملحمة مكانة متميزة في سماء الأدب الإنساني القديم .

الدولة الأكّادية

الأكاديون شعب سامي قدم من جزيرة العرب وحط رحاله في أواسط العراق (أكّاد) في الألف الثالث قبل الميلاد، وعندما انتهى عصر فجر السلالات (عصر الدويلات السومرية) بتوحيد تلك الدويلات من قبل حاكم ذلك العصر المسمى (لوكال زاكيزي) ملك كيش،الذي قام بالغزو الخارجي، استطاع أن يضع أسس ما يسمى بالإمبراطورية . وبعد مضي ربع قرن على ذلك ظهر الملك (سرجون الأول الأكدي ، ملك الجهات الأربع) الذي أسس مدينة (أكّد) أو (أكاده) واتخذها عاصمة له، وصار ينازع حاكم كيش السلطة حتى تغلب عليه، ووحد بلاد الرافدين بقسميه الشمالي والجنوبي، وأسس سلالة حاكمة عرفت بـ (السلالة الأكدية) التي استمرت في الحكم نحو قرنين من الزمن (٢٣٥٠ ـ ٢١٥٩ ق . م .) وكانت مدة حكمه ٥٦ سنة .

فمنذ قدوم الأكّاديين بدأت في هذا العصر ملامح حضارة وادي الرافدين تتبدل أساسياً من النواحي القومية والدينية والسياسية، وكذلك في كيانها الاجتماعي والثقافي، كما ظهرت عناصر ومقومات حضارية جديدة .

ونظراً للتأثر الأكّادي بالحضارة السومرية؛ فإن الأكّاديين قد اقتبسوا الكثير من المظاهر الحضارية والتي من أهمها: التقويم السنوي المبني على الشهر القمري والوحدة العددية الـ (٦٠) والمقاييس والمكاييل والأوزان والنظام العددي . وقلدوهم في فن النحت وحفر الأختام بل فاقوهم في هذه الصناعة، ولا سيما في الحفر على الصخر . وتعلموا منهم الإدارة الحكومية وضبط السجلات والحسابات وتنظيم الجيش وصنع الخوذ والتروس النحاسية والمركبات الحربية . ولعل الكتابة المسمارية أبرز جوانب الاقتباس عن السومريين، على الرغم من أن الأكاديين لهم لغة سامية خاصة؛ محكيّة غير مكتوبة لجهلهم بالكتابة، ولما رأو أهميتها القصوى في معاملاتهم تعلموها وكتبوا لغتهم بها . وقد نتج عن هذا الاقتباس أمران مهمان:

أولهما: أن اللغة الساميّة دخلت في طور التدوين لأول مرة في التاريخ . وثانيهما: أن الكتابة المسمارية لم تعد محصورة بكتابة اللغة السومرية وحدها، بل إنها خرجت من ذلك النطاق الضيق إلى المجال العالمي لتصبح تدريجياً الطريقة الكتابية الشائعة التي تدوّن بها لغات معظم الامبراطوريات الكبرى في تاريخ الشرق القديم .

ومهما يكن من أمر فقد استطاع الأكاديون بمهارتهم العسكرية أن يجوبوا بجيوشهم الجرارة شمالاً وغرباً حتى البحر الكبير (المتوسط)، وشرقاً حتى إيران، وحينما ضعفت دولتهم غزاهم في ما بعد الجوتيون (الكوتيون) وقضوا على دولتهم . شفيق جحا وآخران، المصور في التاريخ (حضارات العالم في العصور القديمة والوسطى)، ص ٦٩ .

بُنيت الحضـارة الأكادية على أُسـس الحضـارة السـومرية، حيث اختلط الشعبان السومري والأكادي فيما بينهما؛ ليمثلا شعباً واحداً هو شعب سومر وأكاد . واستفاد الأكاديون من الخط المسماري السومري الذي طوره الأكاديون إيضاً .

الديانـــة الأكّاديـــة

فـــي العهد الأكادي قويت ســلطة الملك وازداد مقامــه رفعةً، وانخفض نفوذ رئيس رجال الدين (الكهنة) كما أن النظرة السياسية الأكّاديّة كانت أوسع مدى وأبعد طموحاً من النظرة السومرية . فالملوك السومريون كانوا على قناعة بحكم ممالكهم المدينية المحدودة .

بيد أن الأمر المتفق عليه عند المؤرخين: أن الأكاديين آمنوا بما اعتقده السومريون في الجانب الديني، ومع ذلك فقد اشــتهرت آلهة جديدة في العهد الأكادي واحتلت مكانة لدى أفراد المجتمع، فالإله " نجرســو " إله الشمس " وعشتار " إلهة كوكب الزهرة " وعبد الأكاديون النار واعتبروها مصدراً رئيساً من مصادر الخير والنمــاء ! . بــل إن هذه المعبودات ظلت مكان احترام وتعظيم عند الشــعب الأمــوري الذين تمكنوا من تثبيت دعائم وحدة بلاد ما بين النهرين أيام حكمهم .

وذكر المؤرخون كيف أن المجتمع الأكادي قد سادته الكثير من المظالم نتيجة لانغماسهم في جور العبودية للحاكم، وذلك من خلال إسراف الحكام في تأكيد سلطانهم الفردي، بدليل ما آل إليه المجتمع من أن حكام المدن دأبوا على تلقيب أنفسهم " بخدم الملك " أو " عبيده " كما أصبح الناس يطلقون على أبنائهم تسميات مثل شــروكين . إلى، إي، ((ســرجون إلهي)) بمعنى أن حكام العراق آنذاك ادعوا الإلوهية والربوبية ـ عياذاً بالله ـ كما فعلها الفراعنة في مصر خلال فترة حكمهم .

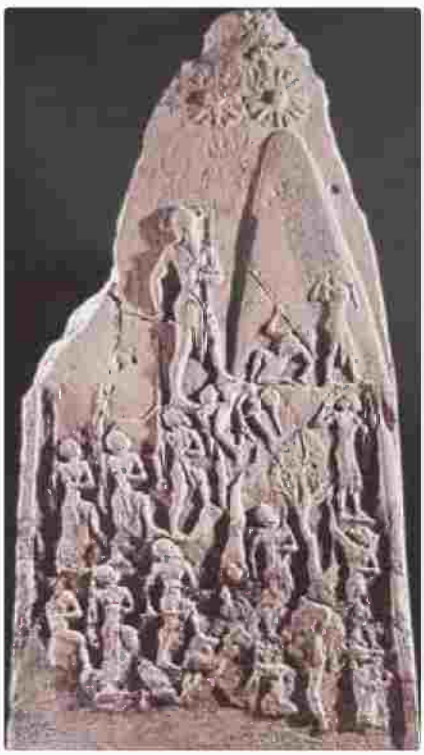

تقديس الشمس في المجتمع الأكّادي

عبادة (شماش) أي آلهة الشمس عند الأكّاديين في معبد سبار

طقـــوس دينية يقوم بها أثنان من أفراد الشعـــــب الأكّـــادي لأحـد الكهنة !.

أكَاديـــان بينهما نجمة سـداسية !.

عبد الأكَاديون النـــــار واعتبروها مصدراً للنماء !.

عشتـار إلهة كوكـب الزهرة عند الأكَاديين.

الأموريون (الدولة البابلية الأولى)

الأموريون شعب ساميّ هاجر من جزيرة العرب في الألف الثالث قبل الميلاد واستقر مقامه في ماري على نهر الفرات بعد أن سيطروا على المناطق المحيطة بها، حيث كانت مملكة ماري السومرية ثم الأكادية موطناً قديماً لهم رغم حكمها من قبل السومريين والأكاديين واستعمال لغتهم والكتابة بالمسمارية، ثم انتقلوا بعد ذلك من هذه السهوب الغربية إلى بلاد ما بين النهرين مستغلين الضعف الذي اعترى الدولة الأكادية؛ حيث استطاع هذا الشعب السامي أن يؤسس مدينة بابل ويتخذها عاصمة له ، ويعتبر " سامو آبي " مؤسس هذه الدولة الفتية عام ١٨٣٠ ق . م . بعد أن استغل النزاع بين سلالتي إيسن ولارسا وأن ينفصل عنهما بمدينة بابل الجديدة ويعلن نفسه ملكاً عليها؛ مؤسساً بذلك سلالة بابل الأولى الأمورية الطابع والتي كانت نواة لتأسيس دولة بابل الأولى القديمة.

بيد إن حياة الأموريين كانت متخلفة بالقياس إلى مدى التطور الحضاري الذي كان موجوداً عند شعوب بلاد ما بين النهرين آنذاك ،حيث اقبل هذا الشعب بشغف على اقتباس التمدن الحضاري في حياة المجتمع الجديد وبلغ ذلك ذروته أيام الملك البابلي ذائع الصيت " حمو رابي " (١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ ق . م) والذي لعب أدواراً بارزة في توحيد بلاد ما بين النهرين بالسياسة تارة وبالحرب تارة أخرى، وإبعاد النفوذ العيلامي (الإيراني) من جنوب العراق وحقق هدفه هذا بعد ثلاثين سنة من حكمه، مما دفع بالآشوريين إلى أن يؤثروا السلامة ويعلنوا اعترافهم بالسلطة الحاكمة في بابل، وبذلك خضعت لبابل معظم المناطق الجبلية الشمالية والشمالية الشرقية، وقد كانت سياسة حمو رابي تتكئ على تقوية حصون مملكته، وهدم أسوار مدن الخصوم، كما لجأ إلى التحالف مع المدن القوية ليأمن جانبها ولتكون عوناً له أثناء الحروب، واهتم بإنشاء المعابد للآلهة ورعاية كهنتها. وسن الشرائع والتي عرفت باسم " شريعة حمو رابي " وقصة هذه الشريعة تعود إلى رغبة حمو رابي في إقرار النظام والقانون والعدل بين الناس في امبراطوريته . حيث وضع المشرعون مئتين وخمس وثمانين مادة تعالج جميع شؤون الحياة البابلية ونقشت تلك الشريعة على عمود من الحجر الكبير الأسود عّلوه ثمانية أقدام، وحفر في القسم الأعلى منه اسم حمو رابي وهو يتسلم نص الشريعة من الإله مردوخ ببابل .

بعد موت حمو رابي حل الضعف في أرض بابل في عهد خلفائه الذين دام حكمهم حوالي قرن ونصف القرن . فغزاها الحثيون من آسيا الصغرى وشمالي سوريا ودمروها، ولكنهم مالبثوا أن رجعوا عنها إلى بلادهم . وبعد الحثيين غزاها الكاشيّون وهم قوم غير ساميين جاءوا إليها من الجبال الشمالية الشرقية حوالي سنة ١٥٥٠ ق . م . وحكموها حوالي ٣٠٠ سنة .

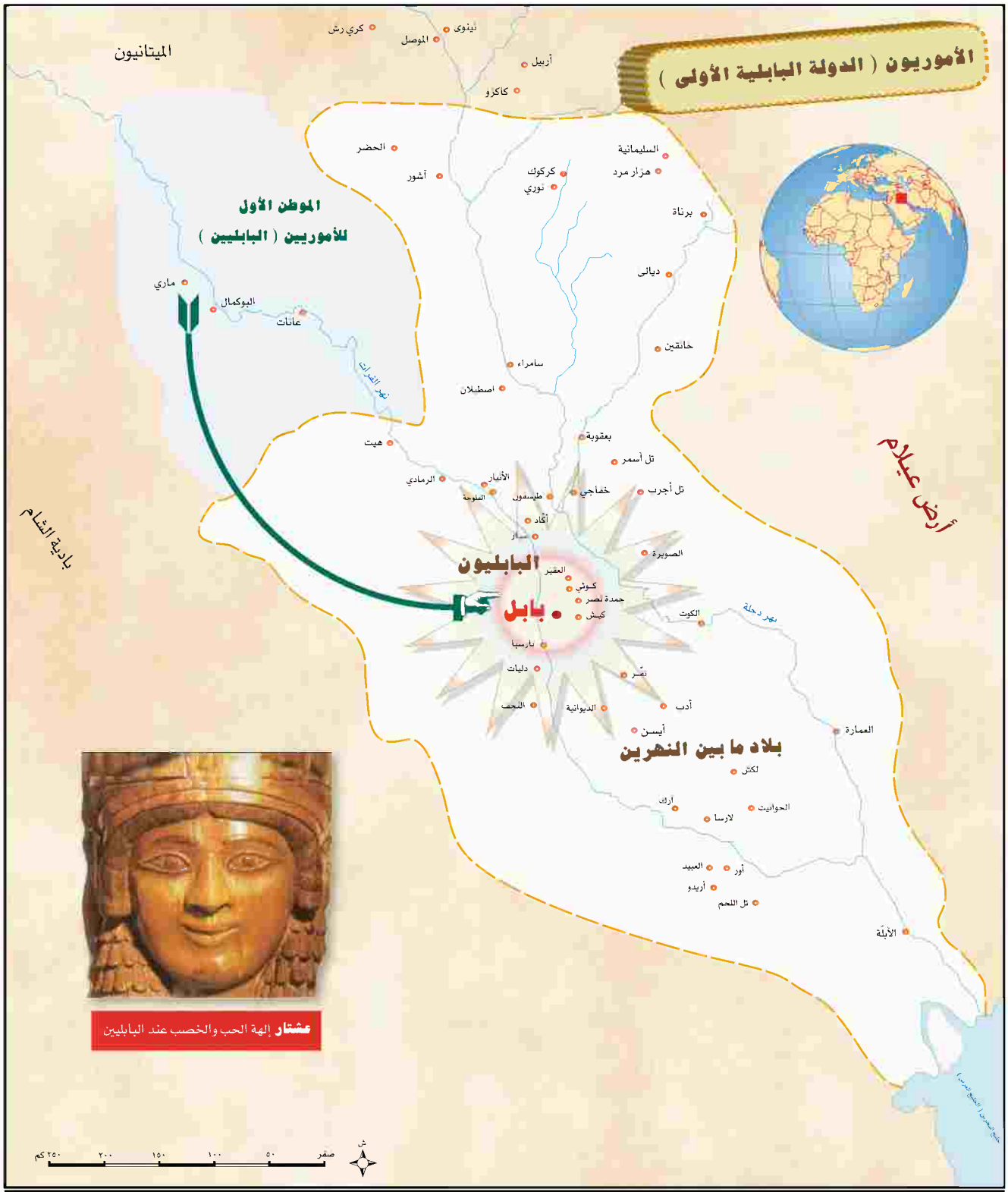

الأموريون (البابليون) : موجة خرجت من شبه الجزيرة العربية وتوجهت نحو الشمال الشرقي من بلاد الشام، وقد أطلق السومريون عليهم اسم (العموريين) أي سكان المناطق الغربية وقد استقر قسم منهم بالأجزاء الوسطى من أرض الرافدين، بعد أن قضوا على الدولة الأكادية .

الدين البابلي (الأموري)

اعتنق الأموريون (البابليون) عقائد السومريين الدينية وعبدوا آلهتهم ومارسوا طقوسهم . وبنوا الهياكل الشبيهة بـ " الزكورات " التي اشتهرت بها المدن السومرية من قبل . ولكن الأموريين لم يتخلوا عن إلههم مردوخ " إله الشمس " الذي اعتبروه الإله الأكبر حيث تبوأ المكان الأبرز بين الآلهة السومرية قاطبة والتي ذابت أمامه وتلاشت!، وبنو هيكلاً عظيماً له في وسط مدينة بابل، ووضعوا له نقشاً على المسلة المشهورة والتي اشتملت على شريعة حمورابي الشهيرة، حيث أخذت عبادته بالانتشار بين جميع طبقات الشعب وفي شتى نواحي البلاد . فحل بذلك مكان " إنليل " إله السومريين الكبير .

من آثار بابل

أما الإله حَدَد ((أدد))، إله العواصف والصواعق والأمطار فقد كانت عبادته منتشرة في جميع أنحاء آسيا الصغرى ووادي الرافدين وسوريا وفلسطين . وقد عرف في " العهد القديم " باسم " رمّون " . وقد كان " يَهْوَه " إلهاً للعواصف في المراحل الأولى من الديانة العبرية. حيث اشترك مع حَدَد في صفات كثيرة . ولذلك لا عجب أن تخلط العامة بينهما !. في الوقت الذي حظيت فيه الآلهة ((عشتار)) الآلهة السامية الأكثر شهرة على قصب السبق من قصص وأساطير لا حصر لها ولا عد، وعلى مدى الأجيال ؛ فهي إلهة الحب والجمال وإلهة الحرب والمعارك؛ بل هي في واقع الأمر وريثة الإلهة السومرية " إنانا " . ومهما يكن من أمر فإن النزعة الكوكبية عند الأموريين كانت كبيرة جداً ولذلك حظيت هذه الإلهة بمكانة مهمة باعتبارها إلهة الزهرة، وكانت هذه النجمة تظهر قبل الشمس عند الغسق وتسمى (نجمة الصباح) ولذلك تظهر على المنحوتات وأشعة الشمس تظهر خلف ظهرها . وكذلك تظهر على شكل نجم مثمن مشع ويندمج هذا الرمز برموز أخرى كالقمر والشمس .

لقد أقام الأموريون (البابليون) على اختلاف مدنهم وقراهم المعابد " الهياكل " لأنها كانت تمثل الحياة العلمية والدينية، وقد تطور شكل المعبد لديهم فظهرت " الزكورات " كما أسلفنا والتي كانت تتألف من عدة طبقات، تنتهي الطبقة العليا بهيكل كبير هو ((معبد الإله)) . انظر الصور المخصصة لمدينة (بابل) .

تمثال من ماري

النصف السفلي لتمثال من الحجر الكلسي من هيكل معبد نيني-زازا (إينانا-زازا) في ماري-تل الحريري. بدايات عصر البرونز (٢٦٠٠-٢٥٠٠ ق.م). النصف السفلي للعباءة مصور على شكل كوناكس (صوف خام)، والجزء العلوي للثوب يحمل نقوشاً مسمارية.

تمثال من ماري (تل الحريري)
موطن البابليين الأول .

المؤلف
تم التقاطها من متحف دمشق

بابل في التراث الإسلامي

روى ابن أبي حاتم عن عروة بن الزبير أنه قال: ود ويغوث ويعوق وسواع ونسر، أولاد آدم، وكان « ود » أكبرهم وأبرهم به. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا الحسن بن موسى؛ حدثنا يعقوب عن أبي المطهر، قال: ذكروا عند أبي جعفر ـ هو الباقر ـ وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب، قال: فلما انفتل من صلاته قال: ذكرتم يزيد بن المهلب، **أما أنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله تعالى**. قال ذكر وداً قال: كان رجلاً صالحاً، وكان محبباً في قومه، فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه، فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال: إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه به؟ قالوا: نعم. فصور لهم مثله، قال: فوضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه فلما رأى ما بهم من ذكره قال: هل لكم أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالاً مثله ليكون له في بيته فتذكرونه؟ قالوا: نعم. قال: فمثل لكل أهل بيت تمثالاً مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به. قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به. قال: وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد غير الله «ود» الصنم الذي سموه وداً.

ومقتضى هذا السياق إن كل صنم من هذه عبده طائفة من الناس. وقد ذكر أنه لما تطاولت العهود والأزمان، جعلوا تلك الصور تماثيل مجسدة ليكون أثبت لهم، ثم عبدت بعد ذلك من دون الله عز وجل. ولهم في عبادتها مسالك كثيرة جداً قد ذكرنا في مواضعها من كتابنا «التفسير». ولله الحمد والمنة. ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ، ج ١، ص ٥٦ .

بابِل: بكسر الباء: اسم ناحية منها الكوفة والحلَّة؛ ينسب إليها السحرُ والخمرُ؛ قال الأخفش: لا ينصرف لتأنيثه، وذلك أن اسم كل شيء مؤنث إذا كان علماً وكان على أكثر من ثلاثة أحرف فإنه لا ينصرف في المعرفة، وقد ذكرت فيما يأتي في ترجمة بابليون معنى بابل عند أهل الكتاب؛ وقال المفسرون في قوله تعالى: « وما أُنزِلَ على الملَكَين ببابِلَ هاروت وماروت »؛ قيل بابل العراق، وقيل بابل دُنباوَند؛ وقال أبو الحسن: بابل الكوفة؛ وقال أبو معشر: الكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمن الأول؛ ويقال: إن أول من سكنها نوح، عليه السلام، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدِّفء، فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح، وملّكوا عليهم ملوكاً، وابتنوا بها المدائن، واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات، إلى أن بلغوا من دجلة إلى أسفل كَسْكَر، ومن الفرات إلى ما وراء الكوفة، وموضعهم هو الذي يقال له السواد؛ وكانت ملوكهم تنزل بابل؛ وكان الكلدانيون جُنودهم، فلم تزل مملكتهم قائمة إلى أن قُتل دارا آخر ملوكهم، ثم قُتل منهم خلق كثير فذلوا وانقطع مُلكهم؛ وقال يزدجرد بن مَهبندار: تقول العجم: إن الضحاك الملك الذي كان له بزعمهم ثلاثة أفواه وستّ أعيُن، بَنى مدينة بابل العظيمة، وكان ملكه ألف سنة إلا يوماً واحداً ونصفاً، وهو الذي أَسَرَه أفريدون الملك وصيرَّه في جبل دُنباوَند؛ واليوم الذي أسره فيه يعده المجوس عيداً، وهو المهرجان؛ قال: فأما الملوك الأوائل أعني ملوك النبط وفرعون إبراهيم فإنهم كانوا نُزُلاً ببابل، وكذلك بُخت نصَّر، الذي يزعم أهل السير أنه ممَّن ملك الأرض بأسرها، انصرف بعدما أحدث ببني إسرائيل ما أحدث إلى بابل فسكنه. ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج ١، ٣١٠ .

حمورابي يتلقى الإذن من رب العدالة في المعتقد البابلي بإصدار تشريعاته ! .

حمورابي من أشهر ملوك بابل، وقد طوّر ما يسمى بشريعة أو مدونة حمورابي، وهو من أوائل من عمل على تنظيم التشريع في التاريخ وتقوية وتوسعة مملكته بالدبلوماسية والانتصار العسكري .

كان حمورابي ملكاً كفئاً ، وعرف عهده بالعهد الذهبي لبابل، حكم بابل لمدة ٤٣ سنة .

غير حمورابي النظام التشريعي للبلاد عن طريق مراجعة الأنظمة القديمة بما فيها التشريعات التي كان عمرها ٣٠٠ سنة، وقام بسن تشريعات جديدة حملت اسمه.

احتوت شريعة حمورابي على حوالي ٣٠٠ مادة قانونية، وشملت هذه التشريعات الاتهام الباطل، وأعمال السحر، والخدمة العسكرية، وتنظيم أمور الأراضي والأعمال، وأنظمة العائلة، والجمارك، والأجور، والتجارة، والقروض، والديون . وكان أهم ما يميز تلك التشريعات هو شعار " لا يحق للقوي أن يؤذي الضعيف " . ولقد أقامت هذه الشريعة نظاماً اجتماعياً على أساس حقوق الفرد بدعم من نفوذ وسلطة آلهة ودولة بابل الموسوعة العربية العالمية ، ج ٩ ، ص ٥٥٢ .

نصوص باللغة المسمارية تؤكد أصالة الإسلام في العراق القديم

ذكر الدكتور / جمال عبد الهادي والدكتورة / وفاء محمد ، نصوصاً باللغة المسمارية تؤكد أصالة خط توحيد الله رب العالمين في حياة أهل الرافدين ، على الرغم من وجود فئات كبيرة كفرت بدعوة الأنبياء والرسل .

الفترة	نماذج للأحكام العادلة
عصر الأسرات السومرية	منع الرشوة وعزل الموظفين المشبوهين، رعاية الأرامل واليتامى وحماية الفقراء من الأغنياء .
عصر إحياء الدولة السومرية	ضرورة دفع الدية عن الجروح التي لا تؤدي إلى الوفاة، محاولة توحيد الموازين والمكاييل .
عصر الإحياء السومري	تحديد عقوبات الجرائم والأضرار التي تلحق بالغير، فجعلت القتل عقاباً للقاتل .
عصر الإحياء السومري الثاني	من حق العبد أن يحرر نفسه إذا دفع لسيده ضعف ما اشتراه به .
عصر دولة بابل الأولى (قانون حمورابي)	شهادة الزور ، والاعتداء على ملكية الغير، والمسائل التجارية، وشئون الأسرة، والزواج... إلخ .
العصر الآشوري الوسيط	الإعدام عقوبة الاشتغال بالسحر ، للزوج ولاية كاملة على زوجته، خروج الحرائر محجبات .

• تاريخ الأمة المسلمة الواحدة منذ أقدم عصورها وحتى القرن السابع قبل الهجرة في مصر والعراق .

الدولة الآشورية

الآشوريون شعبٌ ساميٌ هاجر من شبه الجزيرة العربية في الألف الثالث قبل الميلاد ،واستوطن الموقع المعروف باسم (قلعة شرقاط أو آشور) في المنطقة الشمالية الشرقية من بلاد الرافدين، حيث ظهر كيانهم وأنشئوا دولتهم، وقد انضوت بلادهم في العصر الأكادي ضمن النطاق السياسي والثقافي للإمبراطورية الأكّادية، وقد وجد في الطبقة السادسة من آشور أسس لمعبد الآلهة (عشتار) ينسب بناؤه على عهد الملك (نرام ـ سن) . وكانت بلاد آشور آنذاك تدار من قبل حكام تابعين للدولة الأكادية . بيد أن الأمر المهم أن الآشوريين لم يبرزوا كقوة سياسية مهابة الجانب إلا في الألف الثاني قبل الميلاد، حينما حاربوا الميتانيين والحثيين والكاشيين وانتصروا عليهم جميعاً، ويعتبر شلما نصر الأول هو المؤسس الحقيقي للدولة (١٢٠٦ ــ ١٢٨٠ ق . م) وابنه توكتلي من الشخصيات الكبيرة البارزة فيها، ولاسيما حينما غزا بابل وجعلها ولاية ثانية تابعة للآشوريين، ومن بعده جاء شلما نصر الثالث (٨٤٣ ـ ٨٣١ ق . م).

لقد بلغت الإمبراطورية ذروتها في عهد سرجون الثاني الآشوري ، حيث أضحت من الناحية العسكرية قوة لا تضاهى تمكنت من السيطرة على معظم أراضي الشرق الأدنى القديم، وكونت أوسع إمبراطورية عرفها العراق والشرق الأدنى آنذاك ! ، ولقد مهر الآشوريون في صناعة العربات والدبابات وأنواع الآلات المدمرة . وخلف سنحاريب أباه سرجون، وحكم ٢٣ سنة، واشتهر خلالها بالجانب العمراني، وجعل من نينوى عاصمة للإمبراطورية وجدد أبنية معابدها، وبعد مقتل سنحاريب تولى ابنه (أسر حدون) الحكم حيث قام بتجديد ما خرب من بابل في زمن والده، وعين على عرشها ابنه (شمش شم واكن) ثم توجه إلى الغرب غازياً، ويعتبر الملك آشور بانيبال ابن أسر حدون من أعظم ملوك الدولة إذ استطاع أن يضم مصر سنة ٦٦٨ ق . م . وأن يعيد السيطرة على بابل من جديد وأن يهزم العيلاميين شر هزيمة. وأن يضم إلى مكتبته بنينوى نفائس المدونات القديمة في مختلف العلوم . وقد أوفد عدداً من الكتّاب والنساخ إلى مختلف العواصم لجمع رقم الطين المعرفية لنسخها وضمها في مكتبته، والتي لا تزال الآلاف منها في خزانة المتحف البريطاني في لندن . وقد شملت الامبراطورية الآشورية بعد ملوكها الأقوياء آنذاك، بلاد ما بين النهرين ومصر وجزء من آسيا الصغرى وبلاد الشام وفلسطين . بيد أن هذا المجد السياسي أخذ في الأفول حينما تولى زمام الحكم رجالات ضعاف، تفتت على أيديهم الامبراطورية، فانفصلت بابل عن آشور وسارت على هذا النهج فلسطين وما حولها، ثم قامت في بلاد فارس حركة قومية فأخذت قوة آشور بعد ذلك تضعف إلى أن سقطت سنة ٦١٢ ق . م . على يد الدولة الكلدانية .م . شريف يوسف ، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

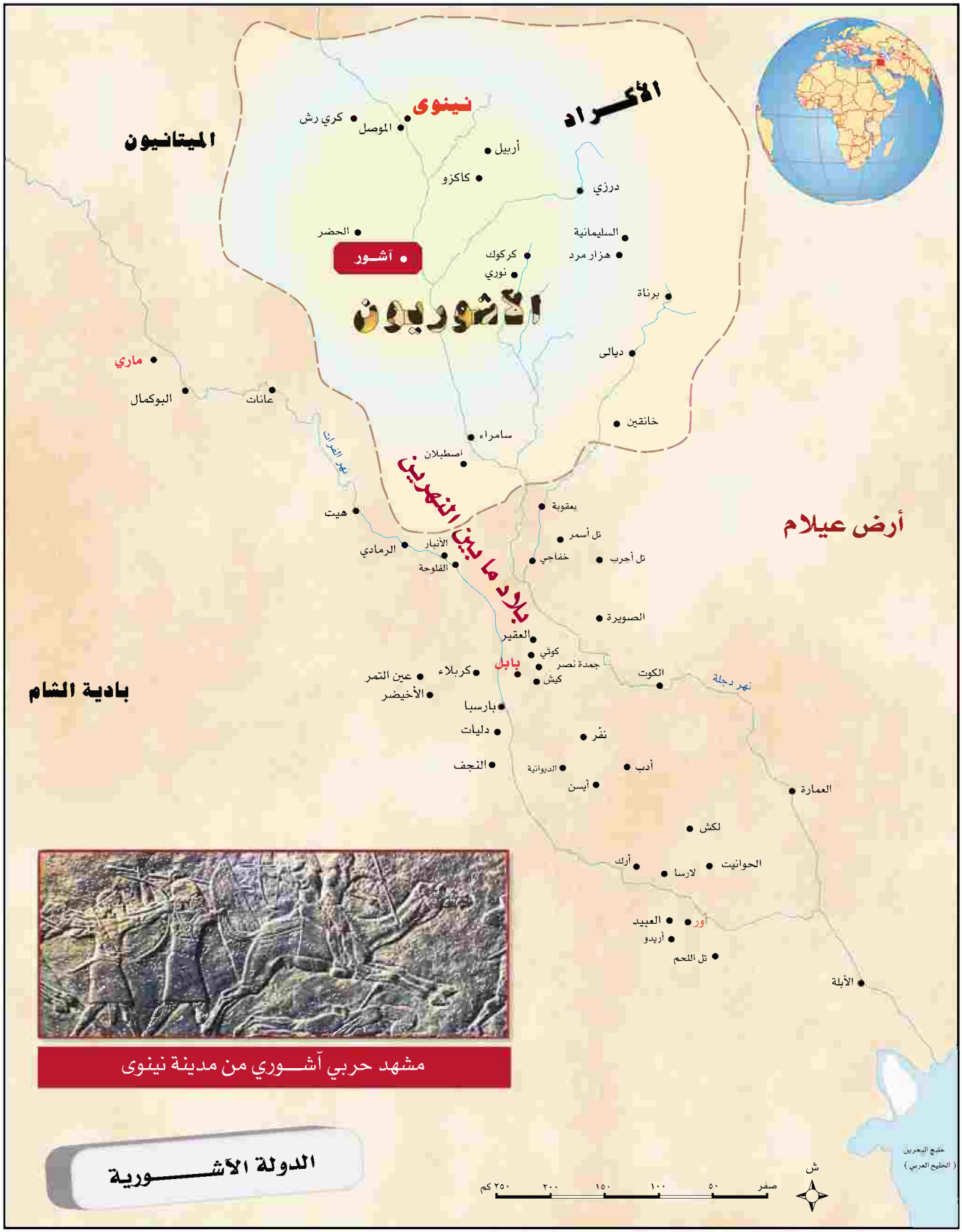

مشهد حربي آشـــوري من مدينة نينوى

الدولة الآشـــــورية

الجيش الآشوري وهو يهاجم أحد المدن، وتظهر في أيدي الجيش الأقواس الحربية ذات الأسهم الحادة

نقش رسومي من قصر الملك الآشوري (سنحاريب) في نينوى - المتحف البريطاني .

استخدم الآشوريون آلات حربية لدك الحصون أثناء حصارها .

ملك آشوري يحمل عصا الملك وفوق رأسه شعارات دينية

تمثال آشوري لهدد يسعي ابن شمش، يحمل نقشاً ثنائي اللغة، على الواجهة كتب باللغة الآشورية الحديثة وبالخط المسماري، وعلى الخلف كتب باللغة الآرامية وبالخط المسماري ، متحف دمشق .

النمرود إحدى عواصم الإمبراطورية الأشورية

الدين الآشـــوري

لم يكن الشعور الديني عميق الجذور في نفوس الآشوريين ، فقد أخذوا عباداتهم وطقوسهم وآلهتهم عن جيرانهم السـومريين والأكاديـين والبابليين والآراميين،حتى تفوقوا عليهم مـن خلال بناء الهياكل والأبراج العالية . لكنهم تمسّكوا بعبادة إلههم ((آشور)) الذي كان يرمز له بقرص الشمس المجنّح، وهو رمز مصـري الأصـل اقتبسـه الحثيون أولاً ثم أخذه الآشوريون عنهم، وكان آشـور عندهم بمثابة الإله مردوك (مردوخ البابلي) وآنليل السـومري، وقد حل محلهما فأصـبح الإلـه الرئيس والوطني للبلاد.

آلهة آشور ومن حوله الكهنة

وكان هـذا الإله في نظر الآشـوريين هو من يخوض المعـارك الضـارية مع ملوكهم ضـد أعـداء البلاد فيقوم برمي العدو بالسهام القاتلة ويبيدهم ويحقق النصر لآشور . في الوقت الذي كانت ((عشتروت)) كما كانت عند البابليين تمثل إلهة الحب والخصـب والجمـال، ونابو كاتـب الآلهة، وأدد إله العواصـف والصواعق والأمطار .

لقـد كانـت تمارس هذه الطقوس الدينية على أيدي كهنة اختصـوا في السـحر والتنجيم . من أجل ذلك أقام الآشـوريون لآلهتهم المعابد التي حافظت على النمط التقليدي في بلاد ما بين النهرين، فهم لا يؤمنـون بالحياة بعد الموت، ولا بالدينونة أو العقاب والثواب، لذلك لم يتأثر سـلوكهم الحياتي بذلك، ولم تتطـور القيم الأخلاقية والعلاقـات الاجتماعية فيما بينهم وفقاً لها، وكانـوا يدفنون موتاهم تحت أرض بيوتهم أو تحت أرض فناء الدار مقلدين السومريين في ذلك .(١)

أما من ناحية الشرائع الآشورية فلم تكن مجموعة واحدة كما هي عند البابليين، إنما هي عبارة عن مجموعـة لوحات خزفية تم اكتشـافها على يـد البعثة الألمانية بين عام ١٩٠٣ ــ ١٩١٤ م ، وتناولت هذه اللوحات السرقات والرهونات وخيانة الأمانة والرشوة، وأيضاً تناولت التنظيم العائلي من حيث الزواج والطلاق والميراث والزنى، فالزوجة التي تخون زوجها، يحكم عليها وعلى عشيقها بالقتل . (٢)

(١) – شفيق جحا وزميلاه، المصور في التاريخ (حضارات العالم في العصور القديمة والوسطى)، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان ، ص ٩٠ .

(٢) – سمير الأتات، حضارات شعوب العالم القديم، دار بركات، بيروت ـ لبنان ، ص ٥٧ .

إيمان أهل نينوى بالله تعالى

تطرقتُ لسيرة نبي الله يونس بن متى عليه السلام في كتابنا الموسوم (أطلس تاريخ الأنبياء والرسل) عليهم السلام في جملة الحديث عن الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم ، ونظراً لاختلاف أسلوب هذا الكتاب عن سابقه ، أحببتُ أن أبين التوبة والإنابة التي حدثت لبعض الآشوريين أثناء دعوة يونس عليه السلام لهم.

قال ابن عباس: أراد شعيا النبي والملك الذي كان في وقته اسمه حزقيا أن يبعثوا **يونس** إلى ملك **نينوى**، وكان غزا بني إسرائيل وسبى الكثير منهم ليكلمه حتى يرسل معه بني إسرائيل، وكان الأنبياء في ذلك الزمان يوحى إليهم، والأمر والسياسة إلى ملك قد اختاروه، فيعمل على وحي ذلك النبي، وكان أوحى الله لشعيا: أن قل لحزقيا الملك أن يختار نبياً قوياً أميناً من بني إسرائيل فيبعثه إلى أهل **نينوى** فيأمرهم بالتخلية عن بني إسرائيل فإني ملق في قلوب ملوكهم وجبابرتهم التخلية عنهم. فقال يونس لشعيا: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا. قال: فهل سماني لك؟ قال: لا. قال: فهاهنا أنبياء أمناء أقوياء. فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي والملك وقومه، فأتى بحر الروم وكان من قصته ما كان؛ فابتلي ببطن الحوت لتركه أمر شعيا؛ ولهذا قال الله تعالى: « فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ » (الصافات: ١٤٢) والمليم من فعل ما يلام عليه. وكان ما فعله إما صغيرة أو ترك الأولى. وقيل: خرج ولم يكن نبياً في ذلك الوقت ولكن أمره ملك من ملوك بني إسرائيل أن يأتي **نينوى**؛ ليدعو أهلها بأمر شعيا فأنف أن يكون ذهابه إليهم بأمر أحد غير الله، فخرج مغاضباً للملك؛ فلما نجا من بطن الحوت بعثه الله إلى قومه فدعاهم وآمنوا به. وقال القشيري: والأظهر أن هذه المغاضبة كانت بعد إرسال الله تعالى إياه، وبعد رفع العذاب عن القوم بعد ما أظلهم؛ فإنه كره رفع العذاب عنهم. قلت: هذا أحسن ما قيل فيه على ما يأتي بيانه في « والصافات » إن شاء الله تعالى. وقيل: إنه كان من أخلاق قومه قتل من جربوا عليه الكذب فخشي أن يقتل فغضب، وخرج فاراً على وجهه حتى ركب في سفينة فسكنت ولم تجر. فقال أهلها: أفيكم آبق؟ فقال: أنا هو. وكان من قصته ما كان، وابتلي ببطن الحوت تمحيصاً من الصغيرة ... . القرطبي ، تفسير القرطبي ، سورة الأنبياء .

قال تعالى:

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ سورة يونس

ذكر الرازي في تفسيره أن يونس عليه السلام توجه نحو - أهل نينوى - حتى دخل أرضهم وهم منه غير بعيد فأتاهم يونس عليه السلام، وقال لملكهم إن الله تعالى أرسلني إليك لترسل معي بني إسرائيل، فقالوا: ما نعرف ما تقول، ولو علمنا أنك صادق لفعلنا، ولقد أتيناكم في دياركم وسبيناكم فلو كان كما تقول لمنعنا الله عنكم، فطاف ثلاثة أيام يدعوهم إلى ذلك فأبوا عليه فأوحى الله تعالى إليه: قل لهم إن لم تؤمنوا جاءكم العذاب فأبلغهم فأبوا، فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه، ثم ذكروا أمرهم وأمر يونس للعلماء الذين كانوا في دينهم، فقالوا انظروا واطلبوه في المدينة فإن كان فيها فليس مما ذكر من نزول العذاب شيء، وإن كان قد خرج فهو كما قال: فطلبوه فقيل لهم إنه خرج العشي فلما أيسوا أغلقوا باب مدينتهم فلم يدخلها بقرهم ولا غنمهم وعزلوا الوالدة عن ولدها وكذا الصبيان والأمهات، ثم قاموا ينتظرون الصبح. فلما انشق الصبح رأوا العذاب ينزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت الحوامل ما في بطونها وصاح الصبيان وثغت الأغنام والبقر، فرفع الله تعالى عنهم العذاب، فبعثوا إلى يونس عليه السلام فآمنوا به، وبعثوا معه بني إسرائيل. فعلى هذا القول كانت رسالة يونس عليه السلام بعد ما نبذه الحوت. ودليل هذا القول قوله تعالى في سورة الصافات: « فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ »(الصافات: ١٤٥-١٤٧)

الإنسان المجنّح (الأسطوري) في المعتقد الآشوري

مشهد محفور في الصخر يمثل آشور بانيبال ملك آشور

جرس من النحاس يستخدم لممارسة الطقوس الدينية في معابد الآشوريين، عليه صورة حيوان مجنّح . من مقتنيات المؤلف الأثرية .

الأثورية تسمية أطلقت على الآشوريين الذين اعتنقوا المذهب النسطوري من العقيدة النصرانية بعد ٥٠٠م. ومعناها يفسره الأكثرية اعتماداً على مبدأ؛ أن الآشوريين أول من أخترع كلمة الوطن آثرا (اترا) و لهذا أطلق على تلك الفئة بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية أثورايا(اتوريا) أي بمعنى الوطنيين أو المستوطنين في الوطن .

أما التسمية الكلدانية، فيقصد بها مذهب ديني أطلق على الآشوريين الذين تركوا النسطورية واعتنقوا المذهب الكاثوليكي بعد ١٥٥٢ م، مع تصريح البابا أوجينوس الرابع بتسميتهم كلداناً. وتزامناً مع تبعية هذه الكنيسة لروما وبعدها عن السيطرة أو الإدارة الآشورية المباشرة فتارة أصبحت عربية وأخرى كردية شرطاً لأن لا تفقد نصرانيتها .

ذكر الأستاذ يوسف حبي والأستاذ بهنام أبو الصوف في جامعة بغداد أن الكلدانية مذهب ديني وليس قومية، والكلدانيون اليوم ليسوا كلدانيين بابل وإنما آشوريون تكثلكوا بانتمائهم للكنيسة الكاثوليكية .

الدولة الكلدانية (العصر البابلي الأخير)

سُـمِّيَ **الكلدانيون** بهذا الاسـم نسـبة إلى قبيلتهـم (كَلْدى) وقد هاجروا مـن جزيرة العرب في أواسـط الألف الثاني قبل الميلاد، واستقروا شمال سـهل شنعار تحت سيطرة الآشوريين وزاد عددهم وأصـبحوا فـي الموقف الـذي يؤهلهم للثورة على الآشـوريين وقد اسـتغل (نبو بلاصـر) حاكم بابل الكلداني فرصة ضعف الآشوريين بعد موت ملكهم آشور بانيبال فاستقل ببابل سنة ٦٢٢ ق . م ،بعد أن طرد الآشوريين منها، وبسط سيطرته على جنوب بلاد الرافدين، وتحالف مع الميديين (إيران اليوم) ونجحا معاً في محاصـرة الآشـوريين من ناحيتي الشـمال والجنوب ، وقضـوا على الدولة الآشـورية، واحتـل مدينـة (نينوى) واهتم (نبو بلاصـر) بتنظيـم دولته الجديدة حيث أعاد بنـاء مدينة بابل وجعلها عاصمة لحكومته، وتلقب باللقب القديم الذي كان يتلقب به ملوك بابل وهو (ملك سومر وأكد) .

تحول (نبو بلاصـر) بعد ذلك إلى الاسـتيلاء على الأقاليم التي كانت خاضـعة للدولة الآشـورية كسـورية وفلسـطين واستطاع ضمهما إلى مملكته، وبينما كان ابنه وولي عهده (نبوخذ نصر) يطارد الجيش المصـري في معركة (كركميش) بلغه أنباء موت أبيه فأسـرع بالعـودة إلى بابل ليتبوأ عرش المملكة في سنة ٦٠٥ ق . م . واعتبر عهده من أزهى العهود في تاريخ العراق القديم . وفي زمنه حدث عصـيان مملكة (يهوذا) عليه بتحريض من فرعون مصـر؛ فجهز نبوخذ نصر حملة شديدة على (أور سالم) وفتحها وأسر ملكها (يهو ياقين) مع عشرة آلاف يهودي ، وهذا هو السبي البابلي الأول سـنة ٥٩٧ ق . م . وبعد عشـر سـنوات ثارت مملكة يهوذا مجدداً فحمل عليها نبوخذ نصـر مرة ثانية وفتح (أور سالم) وخرب الهيكل وأسر أربعين ألفاً من اليهود إلى بابل وهذا هو السبي البابلي الثاني [١] .

وكان من بين السبايا النبيان حزقيال ودانيال [٢]، تولى الحكم بعد وفاة نبوخذ نصر سنة ٥٦٢ ق . م . ابنه (أميل مردوخ) وكان ضـعيفاً أعطى اليهود حرية واسـعة في ممارسـة طقوسـهم الدينية، فـي الوقت الذي حد فيه من سـلطة رجال الدين، فثاروا عليه وعزلوه، ونصـبوا مكانه أحد أقاربه المسمى (نرجال شراوصر) الذي حكم أربع سنوات، ثم خلفه ابنه الطفل الذي قتله رجال الدين وعينوا بدله الآرامي (نابونيد)، الذي فضّـل عبادة القمر (سـن) على عبادة الإله (مردوخ) إله بابل العظيم، غير أن ابنه (بيل شاصر) كان فاسداً لم يهتم بالطقوس الدينية، ولا بأموال الدولة، فانحلت الإدارة وعمّ الفسـاد في البلاد فكان ذلك سـبباً في سقوط الدولة بيد (الأخمينيين) الفرس، وبذلك انتهى حكم مملكة بابل، وتعاقب على حكم البلاد ملوك الدول المجاورة حتى الفتح الإسلامي المبين [٣] .

---

١) م . شريف يوسف، تاريخ من العمارة العراقية، وزارة الإعلام العراقية، ص ١٥٣

٢) موسوعة الكتاب المقدس ص ٥٦ . دار منهل الحياة . منصورية المتن . لبنان ، ١٩٩٣ م

٣) م . شريف يوسف، تاريخ من العمارة العراقية، ص ١٨٥

من أطلال مدينة بابل التاريخية

مدينة بابل كما تخيلها بعض الرسامين

مكتبة بابلية

الزكورة (الزقورة) الخاصة بمعبود البابليين الكبير مردوك (مردوخ) .

مكان الملك البابلي (نبوخذ نصر)

حدائق بابل المعلقة التي بناها (نبوخذ نصر) .

النقوش الحيوانية على جدار مدينة بابل

الموكب الملكي وهو يدلف من باب عشتار

أطلال بابل ، معبد مردوخ شمش إلهة الشمس في المعتقد البابلي

مجسم لأسد بابل الشهير وهو يصارع رجلا

معبود بابلي

أهم مصادر و مراجع أديان بلاد الرافدين

١ – تفسير ابن كثير الدمشقي .

٢ – تفسير القرطبي .

٣ – تفسير الرازي .

٤ – معجم البدان ، ياقوت الحموي .

٥ – دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، (٤) في العراق، د . محمد بيومي مهران . دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥ م .

٦ – موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الثاني (مصر ـ سورية ـ بلاد الرافدين ـ العرب قبل الإسلام) تحرير فراس السواح . منشورات دار علاء الدين، دمشق ـ سورية، ط . الأولى ٢٠٠٤ م .

٧ – تاريخ الأمة المسلمة الواحدة منذ أقدم عصورها وحتى القرن السابع قبل الهجرة في مصر والعراق . د. جمال عبد الهادي محمد مسعود ، ود . وفاء محمد رفعت جمعة . الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة ـ مصر . ط . الأولى ١٤١١هـ .

٨ – المصور في التاريخ، الجزء التاسع، (حضارات العالم في العصور القديمة والوسطى)، تأليف شفيق جحا، وبهيج عثمان، ومنير البعلبكي، دارالعلم للملايين ، بيروت ـ لبنان .

٩ – الموسوعة العربية العالمية،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ط. الثانية ١٤١٩ هـ.

١٠ – أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، أ . سامي بن عبد الله المغلوث، طبع ونشر مكتبة العبيكان ١٤٢٥ هـ ط . السابعة .

١١ – موسوعة الكتاب المقدس، دار منهل الحياة ، منصورية المتن ـ لبنان ، ١٩٩٣ م .

١٢ – قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير ، د . بطرس عبد الملك ، و د . جون الكساندر طمسن ، و أ . إبراهيم مطر . دار مكتبة العائلة بالقاهرة، ط . الثالثة عشرة .

١٣ – الدين السومري، د . خزعل الماجدي، دار الشروق ، ط . الأولى ١٩٩٨ م .

١٤ – تاريخ فن العمارة العراقية، م . شريف يوسف، وزارة الإعلام العراقية .

١٥ – تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية، الجزء الأول ، المهندس الدكتور/ أحمد سوسة، دار الحرية للطباعة، ت . ط . ١٩٨٣ .

١٦ – الحضارات، لبيب عبد الساتر، دار المشرق، بيروت ـ لبنان ، ط. الخامسة عشر ، ١٩٩٩م .

١٧ – المنهج الواضح في التاريخ (حضارات شعوب العالم القديم)، تأليف أ . سمير الأتات، دار بركات للطباعة والنشر والتوزيع .ط . الأولى ٢٠٠٠م .

١٨ – مواقع آثار العراق على الشبكة العنكبوتية .

.THE ATLAS OF THE ANCIENT WORLD . MARGARET OLIPHANT

.HISTORY OF THE WORLD. DK

.THE ILLUSTRATED HISTORY OF THE WORLD